

العمل الاجتماعيّ، ودعاماته العلامة الشيخ باقر بوخمسین

من كتاب (نظرات في الكتب والصحف) للعلامة الشيخ باقر بوخمسین، والذي صدر حديثاً، اخترنا لكم هذه المقالة، وهي تتحدث عن الجانب الاجتماعيّ، وعن الجمعيات الخيرية وخصائصها وما ينبغي أن تتحلّى به، وفيها يوضّح أنّ الجمعيات لا تقوم إلاّ على دعامتین؛ المال والوجاهة، فبغيرهما لا تنهض أيّ جمعية.

وسلاحظ القارئ أنّ هذا الجانب ممتزج مع جوانب أخرى داخل المقالة بأسلوب أدبيّ سلس قائم على التفصيل وتحديد المقترحات، وكانت هذه المقالة من أكثر من سبعين عاماً مما يشير إلى اهتمام الشيخ بهموم المجتمع ونظرتة المتقدمة على عصره.

عبدالله الشيخ حسن بوخمسین

العمل الاجتماعيّ، ودعاماته

العلامة الشيخ باقر بوخمسین

يجب على الجمعيات في أيّ أمّة كانت أن تعمل متوافقة لغرض واحد ولهدف واحد، وهو حفظ كيان الأمّة معنويّاً، وما به سعادتها أدبيّاً، فيجب أن يكون أعضاؤها شديدي التماثل في الغرض والعمل، ليتمكن ارتباطهم في جماعة واحدة والقيام بعمل موحد، ليؤدّوا رسالتهم التي من أجلها قاموا بعملهم، فأوّل ما يجب عليهم هو التفكير أن تقوم جمعياتهم على دعامتین تضمن لها بهما الحياة، وتضمن لهم بهما التقدّم في العمل.

المال والوجاهة علميّان واجتماعيّان، فكلّ جمعيات لا تقوم على هاتین الدعامتین فهي ميّتة في دور الرضاء؛ لذا نرى أنّ كلّ جمعيات تريد أن تؤدّي رسالتها كما ينبغي عليها أن تهتمّ في تقويم هاتین الدعامتین قبل أن تقوم بفتح الجمعيات، لتسير قدمًا عالية الرأس موفورة الكرامة.

من واجب الجمعية أن تعرف الطريق الذي إذا سلكته تتمكن به من تحصيل وتوفير المال الذي يضمن لها البقاء، وأن يكون من طريق العزِّ والفخار حتَّى تسير قدمًا في بثِّ دعوتها لإرشاد الأمة، وثقيف أبنائها، سواء كان من طريق فتح المدارس لتعليم الشباب، أو من تشكيل أنشطة لها في جهات أخرى، وإنَّ استحصال المال لها يكون من واسطة الاشتراكات العامَّة ومن طريق التبرُّعات من الذين يحبُّون انتشار العلم في البلاد، كما يتمُّ من طريق الاشتراك الشهريِّ للمنتمين إلى الجمعية أو السنويِّ، كما يُستعمل في البلاد الراقية، ومن طريق الدعوات والاحتفالات التي تنظِّمها الجمعية وتدعو فيها الأعيان من أبناء البلاد.

وعلى الجمعية أن تتحرَّى الأوقات المناسبة التي يمكن فيها اجتماع مثل هؤلاء من الأعياد والمراسيم، فترسل الدعوات لذوي الجهات والكفاءات من محبِّي الخير، ليمنحوا الجمعية بما تجود وتسمح به ضمائرهم خدمة للأمة، ويجب على الجمعية أن تنوِّهه بشكرهم وفضلهم ليقتدي بهم غيرهم، كما يجب عليها أن تتعرَّف كيف تصرِّف هذا المال؟ فيجب:

أولاً: أن تفكِّر أن لا تنفقه إلا في صالح الأمة من بثِّ المعارف بين أفرادها، كما عليها أن تختار المحلَّ اللائق لمركزها الصالح لإقامة الاحتفالات، ومقابلة الوفود الذين يزورون الجمعية التي تمثِّل البلاد وعنوان رقيِّها وتختار المحلَّ القابل لإقامة الدروس، وتلقِّي الطلاب الذين ينتمون إليها، واحتضانهم وإعدادهم للمستقبل وتهيئتهم لأن يكونوا مثلاً، وقدوة، ودرعاً لأمتهم، وبلادهم.

ثانياً: أن تقدِّم جميع المحاضرات التي تُلقَى في الجمعيات في المناسبات الاجتماعية منها والدينية، والتي تلقى سواء كان من أعضائها، أو من زوارها، ونشر ما فيه الفائدة والتوعية للجمهور حتَّى يثقوا بخدمتها الصادقة.

ثالثاً: إذا توفَّر المال لديها بعد ذلك، فعليها إحياء تراث السلف الصالح من العلوم مما تستسيغه الأمة، وترضى عنه العامَّة، وتقدِّمه للنشر خدمة للدين ونشرًا للثقافة، وانتشار المعرفة بين أفراد الأمة، ليكونوا مواطنين صالحين كما أراد لهم الله، فتكون بذلك خدمت نفسها ودينها، ووطنها.

جعلها بعض العارفين أهمّ من ناحية المال، وهي فكرة غير بعيدة عن الصواب فيجب أن يكون بعض أعضاء الجمعية - إن لم يكن الكل - ممّن لهم المكانة المرموقة في محيطهم، والسمعة الحسنة ممن عُرِفوا بالعلم وازدانوا بالأدب، وسمو الأخلاق، فتحلّوا بسمت الكرامة ممّن سق الأنايّدات، وترك حبّ الذات، ونبذ العصبّيّات.

سمعتهم حبّ الخير للمجتمع، وسمعتهم حبّ السعادة للأمة، ليس غرضهم إلقاء نشر العلم، ولا همّ لهم إلقاء تهذيب الناشئة لانتشالهم من هوّة الجهل، فإذا لم يكونوا ممّن ارتدوا رداء العلم، ولا ممّن تقمّصوا الآداب، ولا ممّن تسلّحوا بسلاح الأخلاق.

فكيف يمكن لجمعية ليس فيها ما ذكر أن تسير، وتحتلّ مكانتها في القلوب، وتأخذ ثقتها من المجتمع؟ وكيف يرجو أن تسير والرأي العامّ بعيد عنها ساخط على أعضائها؟ وكيف تأمل مسافقتها من المجتمع، أو من رجال العلم بأفكارهم ومن أرباب المال بسخائهم وهم أنفسهم لا يعرفون كيف يسيرون؟ وما ثمرة الجمعية وما هو نتائجها لبلادها، وأمّتها وهذا هو حالها؟

إنّ الرجل الذي يريد أن يجلسه الناس، ولم يكن عنده ميزة لهو أحقق، وإنّ الرجل الذي يريد أن يحترمه الناس، ولم يتحلّ بفضيلة لهو معتوه، وإنّ الزارع الذي يريد أن يحصد، ولم يبذر الحبّ لهو مجنون، وإنّ جمعية هذه أعضاؤها، فهي ميّتة، وهي في عالم الفكر، والخيال قبل أن تبرز إلى عالم الوجود، والحقيقة والعمل.